التصور القرآني لفلسفة الحكم عند النبي سليمان عليه الصلاة والسلام

دراسة تحليلية مقارنة

الباحثة هناء عبد المقصود محمد (١)

ملخص البحث:

نبي الله سليمان عليه السلام كان ملكا لديه إمكانيات هائلة، وقد سخر هذه الإمكانيات لنشر دعوة الإيمان بالله، وكان له أسلوبه في العلاقات الدولية (مع بلقيس مثلا)، كما كان له منهجه في الإدارة والحكم ومتابعة الرعية (فتفقد الطير)، وشخصيته القوية في تسخير العصاة (الجن).

وقد قمت بتقسيم الدراسة إلى ثلاثه فصول، تسبقها مقدمة، وتتبعها خاتمة.

عنوان البحث: التصور القرآني لفلسفة الحكم عند النبي سليمان عليه السلام، وهو يحتوي على مدخل يتناول السياسة الشرعية وفلسفة الحكم، وينقسم بعد ذلك إلى ثلاثة فصول كالتالي:

الفصل الأول: القيادة لدى النبي سليمان عليه السلام. والآيات القرآنية الخاصة بفلسفة الحكم لديه .

وفي الفصل الثاني الذي عنوانه: نموذج دولة القوة والإمكانات الكبيرة، تحدثت عن صفات وأخلاق لسليمان جعلته أهلاً للحكم والقيادة، ثم عن عناصر القوة لدى الدولة وحاكمها، وانعكاس ذلك على الرعية.

أما الفصل الثالث فهو عبارة عن: نماذج تطبيقية من فلسفة الحكم في عهده، وقد حاولت فيه استنباط الفوائد من الآيات والأحداث، فكانت مجملة في خمس فوائد.

وأخيرا جاءت الخاتمة: وتشمل على أهم النتائج التي توصل إليها البحث، والتوصيات التي يقترحها الباحث. بالإضافة إلى ثبت المصادر والمراجع وفهرس المحتويات.

Summary

The prophet of Allah, peace be upon him, was a king with enormous potential. He harnessed these possibilities to spread the call to faith in God. He had his own style in international relations (with Balqis, for example). He also had a method of

administration, governance, parishion, Believers (Jinn). I divided the study into three chapters, preceded by an introduction, followed by a conclusion.

The title of the research: The Qur'anic conception of the philosophy of governance in the Prophet Sulaiman, which contains an introduction dealing with the politics of legitimacy and the philosophy of governance, and then divided into three chapters as follows:

Chapter 1: Leadership of the Prophet Solomon. And the Quranic verses of his philosophy. In the second chapter, entitled: The model of the state of power and great potential, I spoke about the qualities and ethics of Solomon made him worthy of governance and leadership, and then the elements of power of the state and its ruler, and the reflection on the parish

The third chapter is: Applied models of the philosophy of governance in his reign, where it tried to derive benefits from verses and events, was summed up in five benefits.

Finally, the conclusion: It includes the main findings of the research, and the recommendations suggested by the researcher. In addition to proven sources, references and index content

المقدمـة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ، وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه ... أما بعد.:

كان من البديهي أن يكون لكلِّ مجتمع رئيس أو حاكم، يحقق الأمن، ويمنع الظلم، ويقضي على الفوضى، وينظم الأمور، ويحكم في الخصومات، ويعاقب المذنب، لأ هذا التشريع لا يمكن أن يطبق إلا إذا قام عليه إنسان له قوة وسلطان، ومساعدون وأعوان، يسهرون على تنفيذه، وإلزام الناس به ، ويدافع عن البلاد ، ويوفر الحاجات التي لا يستطيع الفرد توفيرها بنفسه، وخاصة في الحياة المعاصرة المعقدة

لابد لكل مجتمع بشري من قوانين وتشريعات تنظم أحواله ، ولابد له من حاكم وسلطان ينفذ هذه التشريعات، ويدبر الأمور ويسوس الناس على هديها، وهذا الذي أدركه الشاعر الجاهلي القديم وعبَّر عنه بفطرته السليمة فقال:

لا يَصْلُحُ النّاسُ فَوْضَى لا سَراةَ لَهُمْ ••• وَلا سَراةَ إذا جُهّالُهُمْ سادُوا[٢]

وللقرآن الكريم تصور خاص وشامل للحكم والسياسة والتشريع وكافة الشئون التي يحقق الإنسان من خلالها مسألة الخلافة والاستخلاف في الأرض بناءً على تحمله الأمانة وتبعة أن يكون خليفة في الأرض.

هذا التصور وفلسفته جاءت في النصوص القرآنية أحكاما، كما جاءت واقعا تطبيقيا من خلال القصص القرآني، والإخبار عن الصيغ التنفيذية لهذا التشريع الرباني من خلال الأنبياء الذين مارسوا دورهم كحكام ومسئولين .

وفي هذه الدراسة نقدم نموذجا لهؤلاء من خلال نبي الله سليمان عليه السلام،

- نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ كان ملكا لديه إمكانيات هائلة، وقد سخر هذه الإمكانيات لنشر دعوة الإيمان بالله، وكان له أسلوبه في العلاقات الدولية (مع بلقيس مثلا)، كما كان له منهجه في الإدارة والحكم ومتابعة الرعية (فتفقد الطير)، وشخصيته القوية في تسخير العصاة (الجن).

سبب اختيار الموضوع:

في هذا الخضم الهائل من النظم السياسية والفرق والاتجاهات الأيديولوجية، وكذلك العدد اللانهائي من نظريات الحكم وتجاربه، وما جلبته على الشعوب من نتائج وويلات، وما منحته لهم أيضا من مزايا، وسط ذلك كله يجب علينا كمسلمين أن نتبين الملامح الأساسية لنظامنا السياسي الذي وضعه الدين الحنيف، وأن نقف على النظرية القرآنية للحكم والإدارة، وأن ندرك فلسفة الحكم كما رسمها القرآن، وكما مارسها الأنبياء بشكل عملي تطبيقي، لنرى على الطبيعة والواقع مقدار تكامل هذه الفلسفة ومدى صلاحية تطبيقها على الواقع المعاصر.

وذلك من خلال دراسة نماذج مختلفة قصها علينا القرآن، من عصور ومناطق وأحوال متباينة، وكذلك لكل من هذه النماذج منهجه المتفرد والمميز في فلسفته للحكم وتطبيقه الواقعي لهذه الفلسفة .

المنهج المستخدم:

المنهج المستخدم في الدراسة هو المنهج الاستقرائي لأحاول من خلاله استعراض النصوص القرآنية في فلسفة الحكم والخاصة بالنبي سليمان عليه السلام

محتويات الدراسة:

قمت بتقسيم الدراسة إلى ثلاثه فصول، تسبقها مقدمة، وتتبعها خاتمة.

عنوان البحث: التصور القرآني لفلسفة الحكم عند النبي سليمان ـ عليه السلام ـ ، وهو يحتوي على مدخل يتناول السياسة الشرعية وفلسفة الحكم، وينقسم بعد ذلك إلى ثلاثة فصول كالتالي:

الفصل الأول: القيادة لدى النبي سليمان عليه السلام. والآيات القرآنية الخاصة بفلسفة الحكم لديه . وقد تحدثت فيه عن الموضوعات الآتية:

القيادة لدى النبي سليمان ـ عليه السلام ـ الآيات القرآنية الخاصة بفلسفة الحكم لديه، وأقوال المفسرين– الآيات المتعلقة بفلسفة الحكم والسياسة الشرعية المستنبطة من سورة النمل.

وفي الفصل الثاني الذي عنوانه: نموذج دولة القوة والإمكانات الكبيرة، تحدثت عن صفات وأخلاق لسليمان جعلته أهلاً للحكم والقيادة، ثم عن عناصر القوة لدى الدولة وحاكمها، وانعكاس ذلك على الرعية.

أما الفصل الثالث فهو عبارة عن: نماذج تطبيقية من فلسفة الحكم في عهده، وقد حاولت فيه استنباط الفوائد من الآيات والأحداث، فكانت مجملة في خمس فوائد.

التصور القرآني لفلسفة الحكم عند النبي سليمان ـ عليه السلام ـ

مدخـل: السياسـة الشرعيـة وفلسفـة الحكـم.

السياسة الشرعية وفلسفة الحكم

سبق الحديث في الفصل التمهيدي عن مصطلحات الدراسة الواردة في عنوان الرسالة، ولكننا سنجد المزيد من هذه المصطلحات في كل فصل تقريبا، فكلما توسع الحديث عن فلسفة الحكم لدى أنبياء الله تعالى، وكلما خضنا في الحديث عن مناهجهم وأساليبهم التي أوردها لنا القرآن الكريم، نجد المزيد من المفاهيم التي اتخذها علماء الفقه والأصول كمصطلحات علمية، وتحولت مع تطور الدراسات إلى قواعد وأبواب ثابتة في دراساتهم.

ومن هذه المصطلحات نجد مصطلح السياسة أو فلسفة الحكم، والذي صار بدوره في الدراسات الإسلامية يحمل اسم (السياسة الشرعية).

السياسة الشرعية لغة واصطلاحا:

أ- في اللغة:

السِّياسةُ: القيامُ على الشيء بما يُصْلِحه، والسياسةُ فعل السائس، يقال هو يَسُوسُ الدوابّ إذا قام عليها وراضَها، والوالي يَسُوسُ رَعِيَّتَه، والسائس اسم فاعل من ساس يسوس فهو سائس إذا أحسن النظر، وساس الراكب الدابة أحسن رياضتها وأدبها، وسُوِّسَ الرجلُ أُمور الناس على ما لم يُسَمَّ فاعله إذا مُلِّكَ أَمرَهم(٣).

ب- في الاصطلاح

سنُعَرِّف السياسة الشرعية كونها مركباً إضافيًا من كلمتين السياسة والشرعية ثم نعرفها كونها مصطلحا قائماً بذاته كالآتي:

١- السياسة:

وردت عدة تعريفات للسياسة في قاموس المصطلحات السياسية منها[٤]:

السياسة: فن حكم الحاضرة (الدولة) بقصد بلوغ ما يعتبر كأنه الغاية العليا للمجتمع، (علم حكم الدول)

٢- الشرعية: هي صفة للسياسة، وهي مأخوذة من لفظ (شرَّع) بمعنى بيّنَ وسنّ، والشِرعة-

بالكسر-الدين، والشَّرِيعةُ مَشْرَعةُ الماء وهي مورد الشاربة، والشَّرِيعةُ أيضا ما شرع الله لعباده من الدين، والشِّرْعةُ الشريعة ومنه قوله تعالى: {لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً..} [٥].

٣- السياسة الشرعية كمصطلح قائم بذاته:

عرف المعاصرون السياسة الشرعية بتعريفات كثيرة نكتفي بتعريفين:

أحدهما: السياسة الشرعية هي:(تدبير الشؤون العامة للدولة الإسلامية بما يكفل تحقيق المصالح ورفع المضار مما لا يتعدى حدود الشريعة وأصولها الكلية، وإن لم يتفق وأقوال الأئمة المجتهدين)[٦].

والآخر: (السياسة الشرعية:أحكام ونظمٌ وقوانين تعالج بها أمور المسلمين من الناحية الدستورية والمالية والمدنية والأمنية وجميع مناحي الحياة الداخلية والخارجية) [٧].

الفصل الأول

القيادة لدى النبي سليمان عليه السلام .

والآيات القرآنية الخاصة بفلسفة الحكم لديه

المبحث الأول: القيادة لدى النبي سليمان ـ عليه السلام .

المبحث الثاني: الآيات القرآنية الخاصة بفلسفة الحكم لديه، وأقوال المفسرين.

المبحث الثالث: الآيات المتعلقة بفلسفة الحكم والسياسة الشرعية المستنبطة من سورة النمل.

المبحث الأول:القيادة لدى النبي سليمان عليه السلام:

أصبح سليمان النبي ـ عليه السلام ـ ملكًا على بني إسرائيل وقائدًا لهم بعد أبيه داود ـ عليه السلام؛ قال تعالى :﴿ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ﴾[٨]، والوراثة في هذه الآية ليست وراثة النبوة؛ لأن النبوة درجة يَصطفي لها الله جل جلاله من يشاء من عباده، وإن كان بعض أبناء الأنبياء أنبياءَ، فهذا من باب الاصطفاء وليس الوراثة، وكذلك هي ليست وراثة المال؛ لأن الأنبياء لا يورِّثون المال؛ فقد قال رسول الله ﷺ: (إنا معشر الأنبياء لا نُورَّث، ما تركنا فهو صدقة)[٩]، فتكون الوراثة هنا هي وراثةَ وظيفةِ الخلافة في الأرض، وتحمُّل أعباء الحكم بين الناس بما أنزَل الله سبحانه وتعالى وقيادتهم، وكذلك هي وراثة العلم، ولهذا قال رسول الله ﷺ: (إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورِّثوا دينارًا ولا درهمًا، وأورثوا العلم)[١٠].

وفي موضوع تفقُّد النبي سليمان ـ عليه السلام ـ مجموعة من المسائل:

" الأولى: أن القائد سليمان ـ عليه السلام ـ كان يتفقَّد كل رعيته بدون استثناء، ولأن غائبًا كان في جماعة الطيور، فقد جاء السياق القرآني أنه ـ عليه السلام ـ تفقّد الطير، وإلا فليس من المنطق أن يتفقَّد الطير ولا يتفقد الجنود مثلاً؛ فالقائد الإيجابي يتفقد الرعية كلَّها؛ صغيرَها وكبيرها، غنيَّها وفقيرها، صحيحها وسقيمها، وهكذا كان دَأب القائد سليمان .

الثانية : أن الهدهد من المخلوقات الضعيفة؛ لكونه طائرًا، فمِن هنا كانت رسالة لكل قائد أن لا يَنسى في تفقُّده صِغار القوم" [١١].

المبحث الثاني: الآيات القرآنية الخاصة بفلسفة الحكم لدى سليمان ـ عليه السلام ـ وأقوال المفسرين:

وردت قصة نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ في عدة مواضع وسور في القرآن الكريم، لكن قصته مجموعة ومفصلة في سورة النمل، ومن خلالها يمكننا أن نستنبط فلسفته في الحكم أو سياسته الشرعية، من خلال أقوال المفسرين حول آيات هذه السورة الكريمة.

وسأتناول في البداية التعريف بسورة النمل من حيث اسمها، وترتيبها بين سور القرآن، ومكان نزولها، وعدد آياتها، وفضلها، ومحاورها، وأهم مقاصدها، كما جاء في كتب التفسير:

أ– اسمها: لها ثلاثة أسماء هي:

– " سورة النمل " من أشهر أسمائها، وسبب تسميتها بسورة النمل، لأن لفظ النمل لم يذكر في سورة من القرآن غيرها..

– " سورة الهدهد " والسبب فلأن الهدهد أيضا لم يذكر في أي من سور القرآن سواها .

– "سورة سليمان" والسبب، فلأن ما ذكر فيها من ملك سليمان مفصلا لم يذكر مثله في غيرها[١٢].

ج– مكان نزولها:

وهذه السورة مكية بالاتفاق، قال القرطبي: "مَكِّيَّةٌ كُلُّهَا فِي قَوْلِ الْجَمِيعِ"[١٣] .

د– عدد آياتها:

وهي ثلاث وتسعون آية وألف وثلاثمائة وسبع عشرة كلمة وأربعة آلاف وتسعة وتسعون حرفا. قال الطاهر بن عاشور –رحمه الله– (وقد عُدّت آياتها في عدد أهل المدينة ومكة خمساً وتسعين، وعند أهل الشام والبصرة والكوفة أربعاً وتسعين) [١٤] .

هـ- فضلها:

لم أجد من خلال بحثي أحاديث صحيحة في فضل سورة النمل، وكل ما وجدت ما ذكره بعض المفسرين عن الصحابي الجليل أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ρ: (من قرأ طس سليمان كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق بسليمان وكذّب به، وهود وشعيب وصالح وإبراهيم، ويخرج من قبره وهو ينادي: لا إله إلا الله)[١٥].

و- أهم مقاصدها:

من المعلوم بداهة أن لكل سورة من سور القرآن الكريم مقصد، بل مقاصد، وأهم مقاصد سورة النمل نجملها بالآتي:

١- القرآن الكريم هداية للخلق أجمعين:

قال البقاعي: (مقصودها وصف هذا الكتاب بالكفاية لهداية الخلق أجمعين بالفصل بين الصراط المستقيم، وطريق الحائرين، والجمع لأصول الدين، لإحاطة علم منزله بالخفي، والمبين، وبشارة المؤمنين، ونذارة الكافرين، بيوم اجتماع الأولين والآخرين...) [١٦].

٢- إبراز صفة العلم:

جاء في كتاب في ظلال القرآن" تعليقًا على تفسير ابن كثير للآية: (وهكذا تبرز صفة العلم في جو السورة تظللها بشتى الظلال في سياقها كله من المطلع إلى الختام. ويمضي سياق السورة كله في هذا الظل، حسب تتابعه الذي أسلفنا)[١٧].

خ- محاورها:

قال الشيخ الصابوني: " سورة النمل هي أحدى سور ثلاث نزلت متتالية ووضعت في المصحف متتالية وهي الشعراء والنمل والقصص ويكاد يكون منهاجها واحداً في سلوك مسلك العظة والعبرة عن طريق قصص الغابرين" [١٨].

أما أهم المحاور في سورة النمل فهي:

" المحور الأول: أصول العقيدة (التوحيد، الرسالة، البعث)

المحور الثاني: معجزة سيدنا محمد ﷺ وحجته البالغة الى يوم الدين

المحور الثالث: أوجزت قصص ثلاثة أنبياء هم : (موسى، وصالح، ولوط) عليهم السلام وركزت على ما نال أقوامهم من العذاب والنكال بسبب تكذيبهم لرسلهم.

المحور الرابع: فَصَّلَتْ قصتيّ داود وسليمان عليهما السلام وما خصهما الله من الفضل الكبير بالجمع بين النبوة والملك الواسع

المحور الخامس: الدلائل والبراهين على وجود الله ووحدانيته من آثار مخلوقاته وبدائع صنعه

المحور السادس: أشراط الساعة وساقت بعض الأهوال والمشاهد الرهيبة التي يراها الناس يوم الحشر، والناس قسمان : السعداء والأشقياء" [١٩].

المبحث الثالث : الآيات المتعلقة بفلسفة الحكم والسياسة الشرعية المستنبطة من سورة النمل:

تقدم القول أن من أهم مقاصد سورة النمل: العلم والسياسة ، وبهما تنهض الأمة، لذا فإننا سنركز البحث عن آيات السياسة الشرعية في أنموذجنا المختار، وهو سورة النمل، وتحديدا في قصتيّ داود وسليمان عليهما السلام، ونسلط الضوء عليها من خلال أقوال المفسرين قديما وحديثا، وكذلك قول أهل السياسة وننزلها على الواقع المعاصر وحسب تسلسل ورودها في السورة، وكذلك توضيح الكثير من الدروس السياسية التي يجب على المسلمين أن يلتزموا بها اليوم من أجل حياة طيبة لهم ولشعوبهم...

ومن الجدير بالذكر أن قصتيّ النبيين الجليلين داود وسليمان – عليهما السلام– قد شغلت حيزاً واسعا من سورة النمل، إذ بدأت السورة تتحدث عنهما من الآية (١٥) إلى نهاية الآية (٤٤).

"وفضلاً عن ذلك فان القران الكريم قد فصَّل الحديث عنهما في عدة سور أخرى، وهذا يدل على مكانتهما وفضلهما وعلو منزلتهما، ولأنهما جمعا بين النبوة والملك... [٢٠]

ولنبدأ بعون الله تعالى بتفسير هذه الآيات مستنبطين أهم ما فيها من الدروس السياسية الشرعية، كالآتي:

١. الآية ١٥: وفيها بيان فضل العلم لولي الأمر.

قال تعالى: (وَلَقَدْ آتَيْنا داوُدَ وَسُلَيْمانَ عِلْماً وَقالا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنا عَلى كَثِيرٍ مِنْ عِبادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) .

قال القرطبي: " قوله تعالى : { وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْماً } أي فهما وقيل: علما بالدين والحكم وغيرهما، وإنما الذي آتاهما الله النبوة والخلافة في الأرض والزبور ... ثم قال: وفي الآية دليل على شرف العلم وإنافة محله وتقدم حملته وأهله، وأن نعمة العلم من أجل النعم وأجزل القسم" (٢١).

وقال ابن كثير: " يخبر تعالى عما أنعم به على عبديه ونبييه داود وابنه سليمان، عليهما من الله السلام، من النعم الجزيلة، والمواهب الجليلة، والصفات الجميلة، وما جمع لهما بين سعادة الدنيا والآخرة، والملك والتمكين التام في الدنيا، والنبوة والرسالة في الدين" (٢٢).

وجه السياسة الشرعية من الآية :

١- " للعلم فضل ودور مهم لولي الأمر في معرفة حكم الله، وتنفيذ أوامره، وبيان شريعته، ودعوة الناس إليها، وإلزام الناس بها، وبالعلم يمكن له إدارة الدولة بصورة عادلة.

٢- شكر الحاكم لنعمة الله من أهم أسباب بقائها وزيادتها بدليل قوله تعالى : (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ) والشكر: هو الاعتراف بالنعمة على وجه الخضوع للمنعم.

٢- الآية (١٦) وفيها: وراثة النبوة والعلم والملك .

قال تعالى: (وَوَرِثَ سُلَيْمانُ داوُدَ وَقالَ يا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْفَضْلُ الْمُبِينُ).قال الطبري: " ورث سليمان أباه داود العلم الذي كان آتاه الله في حياته، والملك الذي كان خصه به على سائر قومه، فجعله له بعد أبيه داود دون سائر ولد أبيه" (٢٣).

وجه السياسة الشرعية من الآية:

أ- " يحق لولي الأمر أن يوّرث حكمه لمن يراه مناسبا من أبنائه، شريطة أن يكون مؤهلاً وكفئاً لذلك، لا، لأجل أنه ابنه وحسب، كما وجدنا ذلك واضحا في تاريخنا، ونراه اليوم أيضاً من توريث بعض الحكام لأولادهم الغير مؤهلين لقيادة قطيع غنم فضلا عن قيادة أمة.

ب- من الضروري أن يكون ولي الأمر عالما بلغات ولهجات شعبه -إن كانوا مختلفين كما في عراقنا حماه الله ففقط اللغات الرئيسة عندنا ثلاث هي: العربية والكردية والتركمانية فضلاً عن عشرات اللهجات - أو أن يكلف من يترجم له لكي يكون على اطلاع من مظالم ومطالب مرؤوسيه، ولولا ذلك لما فهم سليمان ما قالته النملة" [٢٤].

الفصل الثاني

نموذج دولة القوة والإمكانات الكبيرة

المبحث الأول: صفات وأخلاق لسليمان جعلته أهلاً للحكم والقيادة.

المبحث الثاني: عناصر القوة لدى الدولة وحاكمها، وانعكاس ذلك على الرعية.

الفصل الثاني

نموذج دولة القوة والإمكانات الكبيرة

تمهيد:

تتجلى تلك القوة والإمكانات الكبيرة في ما لدى صاحب الدولة أو قائدها من صفات، وما لدى الدولة من عناصر القوة، وانعكاس ذلك على الرعية من خلال العنصرين التاليين:

المبحث الأول: صفات وأخلاق لسليمان جعلته أهلاً للحكم والقيادة .

المبحث الثاني: عناصر القوة لدى الدولة وحاكمها، وانعكاس ذلك على الرعية.

وأبدأ بذكر بعض الصفات التي أهل الله بها النبي سليمان ـ عليه السلام ـ ليكون أهلاً لهذا التكريم وذلك الحكم وتلك القيادة أو الملك العريض، الذي لم يُعط لأحدٍ من قبله ولا من بعده بالتعبير القرآني؛ حيث تذكر الآيات (٣٠- ٤٠) من سورة ص طرفاً من قصة سليمان عليه السلام ـ

المبحث الأول: صفات وأخلاق لسليمان جعلته أهلاً للحكم والقيادة:

" لقد وهب الله سليمان صفات وأخلاق جعلته أهلاً لذلك الملك العريض، وبعض ما أعطي له من أسباب الملك الكثيرة، ومن هذه الصفات:

١- أنه نبي من أنبياء الله، وهو مكلف بالدعوة إلى الله وليس ملكاً عادياً، وما أعطاه الله كان من المعجزات، وليس فقط من متطلبات الملك العادي لأي ملك.

٢- أنه كما وصفه الله سريع الرجوع إلى الله ﴿ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾. قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾[٢٥].

٣- أن الله فتنه أي (اختبره) فتقبل ذلك الاختبار بصبر وعاد إلى الله منيباً إليه، ورجع إلى ربه واستغفره: قال تعالى في سورة (ص) : ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لا يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾[٢٦]، وليست هناك روايات يعتمد عليها فيما هو الجسد، ويهمنا هنا أن سليمان بعد أن فتنه الله – تعالى- واختبره تاب إليه مستغفرا "[٢٧].

٤- أن الله –تعالى- أعطى لسليمانU فهما وحُكْمًا وَعِلْمًا (والحكم: هو القدرة على أن يصدر أحكاما صائبة على الأمور والقضاء بين الناس بما أراه الله من الحق والعدل)، قال تعالى في سورة الأنبياء : ﴿ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾[٢٨]؛ أي أن الله كما أعطى لداود ـ عليه السلام ـ : ﴿ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ أعطى لسليمان ـ عليه السلام .. مثله وزاده فهماً.

المبحث الثاني : عناصر القوة لدى الدولة وحاكمها، وانعكاس ذلك على الرعية:

وسوف نتفكر ونتدبر في عددٍ من الآيات من سورة النمل (من الآية ١٥ إلى الآية ٤٤) التي تحكي قصة النبي سليمان ـ عليه السلام ـ مع ملكة سبأ فقط ونتبعها بالآية (٨٢) التي ذكرت فيها

أن دابة تخرج من الأرض تكلم الناس، ونذكر هنا بعض ما فتح الله علينا من تدبر وفهم لهذه الآيات، بالنقاط الآتية:

١- تذكر الآية (١٥) أن الله أعطى لسليمان العلم. وأن للعلم تأثير على النفوس تنجذب إليه وإلا لما خاف الملوك من دعوات الرسل ومن العلماء.

٢- أن الله علَّمَ سليمان ـ عليه السلام ـ لغة الطير ولغة النمل ، ولغة الشياطين والجن : (حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لاَ يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ * فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) [٢٩] .

٣- أن الله أعطى لسليمان من الملك ما لم يُؤتى أحد من العالمين وسخر له الجن والشياطين والإنس والطير والريح وأوتي من كل شيء . (وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الفَضْلُ المِبِينُ * وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ)[٣٠]. وما ذكر عن سليمان في سورة الأنبياء وسورة سبأ، وسورة ص يبين بتوسع عنه[٣١].

الفصل الثالث

نماذج تطبيقية من فلسفة الحكم في عهد نبي الله سيدنا سليمان ـ عليه السلام.

- النمـــوذج الأول.
- النمـوذج الثانيـة.
- النمـوذج الثالثـة.

لا نستطيع إسقاط الماضي على الحاضر في تفسير القرآن، فذلك يصلح في الأحداث التاريخية العادية، لكن للقرآن وأحداثه قداسة ننأى بأنفسنا عن الخوض في تشبيهها بالحاضر، والغلو في تأويل النصوص، أو لي أعناق النص لتشبيهه بالحاضر والواقع؛ لذا فأنني سأحاول

استخراج الفوائد من السورة وتفسيرها، ومن الوقائع ومسيرتها، لتكون نبراسا لنا ودروسا نتلقاها في فلسفة الحكم والقيادة في عصرنا الحاضر، ومستقبلنا أيضا.

النموذج الأول:

إن الله ذكر كل تلك الاستعراضات لمظاهر الملك العريض الذي أوتي للنبي سليمان ـ عليه السلام ـ، والذي لم يعطى لأحد من قبله ولن يعطى لأحد من بعده، ليبين لنا أنه قادر على كل شيء، وأن كل شيء ينقاد لأمره تعالى ويخضع له حتى الشياطين المتمردة على الله ابتداءً، والجن والإنس والحيوانات بجميع أنواعها، وكذلك الريح، وعين القطر التي أسالها الله لسليمان. وقد جاء في تفسير الظلال: " والقطر النحاس. وسياق الآيات يشير إلى أن هذا كان معجزة خارقة –أي لسليمان ـ عليه السلام . – كما كانت إلانة الحديد لداود ـ عليه السلام ـ معجزة. وقد يكون ذلك بأن فجر الله له عيناً بركانية من النحاس المذاب من الأرض. وعين القطر: (عين يخرج منها النحاس المذاب سائلاً مثلما يخرج الماء من الينابيع)[٣٢].

النموذج الثاني:

إن كل الذي سُخِّر لسليمان هو هبة من الله ولم يكتسبه سليمان بجده وجهده، ومع ذلك فهذا الملك لا يساوي شيئاً بالنسبة لملك الله العظيم.. "كما أنه لا يقارن بما يعطيه الله من ملك لكل مؤمن في الآخرة، وقد ذكر الله عدداً من الأنبياء بعد ذكر إعطائه الملك لسليمان وما وهبهم الله في الآخرة. أو كما قال في سورة الإنسان :﴿ وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴾.[٣٣] ومع ذلك نحن لا ندري شيئاً عن طبيعة الملك الكبير في الآخرة لكل مؤمن بالله واليوم الأخر" [٣٤].

النموذج الثالث:

هي النتيجة التي يهدف من ورائها الخطاب القرآني، في التعقيب الذي ذُكِرَ بعد قصة سليمان وعدد من الأنبياء بعدها؛ " وذلك في سورة (ص) في التذكير بالقرآن وبحُسْنِ المآبِ في الآخرة والذي عاقبته دخول الجنة للمؤمنين، في قوله تعالى :﴿ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ * جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ * مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ *وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ * إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ

مِنْ نَفَادٍ ﴾[٣٥]. ثم يعقب بعد ذلك عن مصير الطغاة الكافرين في الآخرة، وكأنه يُعرِّض للمرتبطين بالملك الدنيوي في قوله :﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾ . وبذلك يتفق مع سياق القصة في الملك العادل للنبي المِلكِ الذي يختلف عن أي مَلِكٍ طاغي من ملوك الدنيا" [٣٦].

الخاتمــة

- الخلاصـة والنتائـج .

الحمد لله عدد خلقه، وزنة عرشه، ومداد كلماته، سبحانه لا نحصي ثناءً عليه كما أثنى على نفسه.

يسر أسباب السعادة لمن أراد الخير لهم، وخص باللطف من شاء من عباده، وقصد الخير والإرشاد أهله، فاهتدى لمناهج الفلاح، ورفعت له ألوية القبول والنجاح إليه سبحانه يرجع الفضل في هدايتي لهذا الموضوع، وهو التصور القرآني لفلسفة الحكم عند النبي سليمان عليه السلام. أما بعد،، ..

فقد وفقني الله عز وجل إلى اخيار هذا الموضوع والبحث فيه، فإن منطق العقل وتجربة الواقع؛ فضلاً عن أحكام الشرائع تثبت دومًا أنه لابد للناس من حاكم وتشريع، وفلسفة للحكم،

وللقرآن الكريم تصور خاص وشامل للحكم والسياسة والتشريع، وكافة الشئون التي يحقق الإنسان من خلالها مسألة الخلافة والاستخلاف في الأرض بناءً على تحمله الأمانة ، وتبعة أن يكون خليفة في الأرض.

هذا التصور وفلسفته جاءت في النصوص القرآنية أحكامًا ، كما جاءت واقعًا تطبيقيًا من خلال القصص القرآني والإخبار عن الصيغة التنفيذية لهذا التشريع الرباني من خلال الأنبياء الذين مارسوا دورهم كحكام ومسئولين.

وفي هذه الدراسة نقدم نموذجًا

نبي الله سليمان ـ عليه السلام ـ كان ملكًا لديه إمكانيات هائلة، وقد سخر هذه الإمكانيات لنشر دعوة الإيمان بالله، وكان له أسلوبه في العلاقات الدولية —مع بلقيس مثلاً–.

كما كان له منهجه وفلسفته في الإدارة والحكم ومتابعة الرعية — فتفقد الطير– وشخصيته القوية في تسخير العصاة — الجن –.

وأخيرًا أدعو الله عز وجل أن أكون قد ووفقت في اختيار هذا الموضوع، فإن أصبت فهذا توفيق من الله وإن أخطأت فهذا من نفسي ومن الشيطان.

التوصيات:

١. أوصى كل باحث وباحثة بالتوسع في دراسة موضوع فلسفة الحكم، ونظم الحكم في القرآن الكريم، ويمكن لكل باحث أن يأخذ صورة واحدة من الصور التي تناولت أوامر إدارية أو نماذج تطبيقية بنظم الحكم، فمثلاً تكون هناك رسالة عن:

أ. فلسفة الحكم في سورة الأحزاب . ب. فلسفة الحكم في سورة النور.

ج. فلسفة الحكم في سورة التوبة . د. فلسفة الحكم في سورة الفتح.

٢. العناية بطبع ونشر كل بحث أو رسالة تم إنجازها في هذا المجال .

وختامًا:

اعترف بعدم وفاء جهدي بتحليل ودرس مثل هذا العمل الفز، فإن التصور القرآني لفلسفة الحكم عند النبي سليمان عليه السلام بحر زخار يموج بكثير من نفائس العلم، ودائرة المعارف يجد كل طالب بغيته منه..

والحمد في الأولى والآخرة، ولو الحكم والي يرجع الأمر كله، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الهوامش:

[1] دراسة مقدمة للحصول على درجة الماجستير من الباحثة هناء عبد المقصود محمد ،معهد الدراسات والبحوث الآسيوية جامعة الزقازيق.

[2] البيت للأفوه الأودي في العقد الفريد، أحمد بن عبد ربه الأندلسي، باب في رواة الشعر، ج٢، ص ٢٢٠ ، دار إحياء التراث العربي ١٩٩٩م ، ويقول في هذه القصيدة عقب هذا البيت :

والبيت لا يبتنى إلا له عمدٌ ... ولا عماد إذا لم ترس أوتاد

فإنّ تَجمَّع أوتاد وأعمدة ... يوماً فقد بلغوا الأمر الذي كادوا

[3] ابن منظور: لسان العرب، ١٠٧/٦.

[4] أحمد سعفان: قاموس المصطلحات السياسية والدستورية والدولية، مكتبة لبنان، بيروت، ٢٠٠٤م، المصطلح رقم ٢١٤.

[5] سورة المائدة من الآية ٤٨.

[6] عبد الوهاب خلاف: السياسة الشرعية أو نظام الحكم في الإسلام، ط٤، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، ص١٧.

[7] فتحي الدريني: خصائص التشريع الإسلامي في السياسة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٢٠هـ، ص١٨٩– ١٩٠

(٨) النمل : ١٦

(٩) أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي: سنن النسائي الكبرى، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩١/١٤١١، كتاب الفرائض، ذِكر مواريث الأنبياء، ٤٥٢/٥ .

(١٠) صحيح ابن حبان – كتاب العلم – ذكر وصف العلماء الذين لهم الفضل، ١٧١/١ .

(١١) عبد القادر مصطفى: الوظيفة العامة في النظام الإسلامي وفي النظم الحديثة، القاهرة، مطبعة السعادة، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ص ٦٥-٦٧ .

(١٢) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ت١٣٩٣هـ): التحرير والتنوير. تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ، ٢١٥/١٩

(١٣) القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين الدين القرطبي، المتوفى سنة ٦٧١هـ): تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط٢، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤، ١٥٤/١٣.

(١٤) الطاهر بن عاشور: التحرير والتنوير ، مصدر سابق ، ٢١٦/١٩ .

(١٥) انظر: أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي (ت٤٢٧هـ): الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق: نظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م، ١٨٨/٧، والحديث في البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى الخسروجردي) (ت٤٥٨هـ) دلائل النبوة للبيهقي، باب: وفد نجران وشهادة الأساقفة، تحقيق عبد المعطي أمين قلعجي دار الريان للتراث، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ٤٨٥/٥ .

(١٦) البقاعي (إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ت ٨٨٥هـ): نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م، ٤٠٥/٥

(١٧) ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ): تفسير القرآن العظيم، تحقيق : سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م، ١٨١/٦

[١٨] انظر: محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، دار الصابوني، القاهرة، ١٤١٧ هـ/١٩٩٧م، ٣٦٧/٢؛ عبد الله أسود خلف الجوالي: سورة النمل دراسة تحليلية، أطروحة مقدمة لجامعة بغداد سنة ٢٠٠٣م، ص ١٩ – ٢٠.

[١٩] الصابوني: صفوة التفاسير، ٣٦٧/٢.

[٢٠] الصابوني: صفوة التفاسير، ٣٦٧/٢.

[٢١] القرطبي: الجامع لأحكام القران، ١٦٣/١٣ – ١٦٤

[٢٢] ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، ١٨١/٦ .

[٢٣] الطبري (محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، ت ٢٢٤–٣١٠هـ): جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م .

[٢٤] عبد الوهاب النجار : قصص الأنبياء ، بيروت، ط ٣، ١٩٩٣م ، ص ٣١٢.

[٢٥] سورة ص، الآية ٣٠

[٢٦] سورة ص، الآية ٣٤–٣٥

[٢٧] محمد قطب: شبهات حول الإسلام، دار الشروق، القاهرة، ط ١٣، ١٩٩٨م، ص ١٢٢.

[٢٨] سورة الأنبياء، الآية ٧٩

[٢٩] سورة النمل، الآية ١٨–١٩

[٣٠] سورة النمل، الآية ١٦–١٧

[٣١] ابن الجوزي : زاد المسير، مصدر سابق، ٧٥/٢

[٣٢] سيد قطب: في ظلال القرآن، ٣٧/٢.

[٣٣] سورة الإنسان، الآية ٢٠

[٣٤] الإمام محمد عبده : الأعمال الكاملة، مرجع سابق، ١٩٩٣م، ٢١٤/٢.

[٣٥] سورة ص، الآية ٤٩-٥٤

[٣٦] محمد عمارة : الإسلام والأمن الاجتماعي، مرجع سابق، ص ١٢١.

قائمة المصادر والمراجع

١. إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (ت٧٩٠هـ): الموافقات، تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ن دار ابن عفان، الرياض، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م

٢. إبراهيم مصطفي، أحمد الزيات، وآخرون : المعجم الوسيط، دار الدعوة، د. ت.

٣. ابن الأزرق، أبو عبد الله بن الأزرق (ت ٨٩٦ هـ) : بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق: علي سامي النشار، بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، ١٣٩٧هـ، ١٩٧٧م.

٤. ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي المتوفي سنة ٥٩٧هـ) زاد المسير في علم التفسير، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٢٢هـ

٥. ابن القيم الجوزية: التفسير القيم، طبعة لجنة التراث العربي، بيروت، د.ت.

٦. ابن تيمية : النبوات، مكتبة الرياض الحديثة، بدون تاريخ.

٧. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨ هـ): الحسبة في الإسلام، تحقيق: سيد بن محمد بن أبي سعدة، الكويت، دار الأرقم، ١٤٠٣ هـ/ ١٩٨٣ م

٨. ابن تيمية، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم (ت ٧٢٨هـ): السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية، تحقيق: علي سامي النشار، وأحمد زكي عطية، ط ٢، القاهرة، دار الكتاب العربي، ١٩٥١م

الموسوعات ودوائر المعارف:

٩. لجنة أعمال الموسوعة: الموسوعة العربية، وزارة الثقافة، دمشق، الإصدار الالكتروني، ٢٠٠٨م

١٠. لجنة أعمال الموسوعة: الموسوعة العربية العالمية، المملكة العربية السعودية، الإصدار الالكتروني، ٢٠٠٤م

الرسائل العلمية:

١١. عبد الله أسود خلف الجوالي: سورة النمل دراسة تحليلية، أطروحة مقدمة لجامعة بغداد سنة ٢٠٠٣م